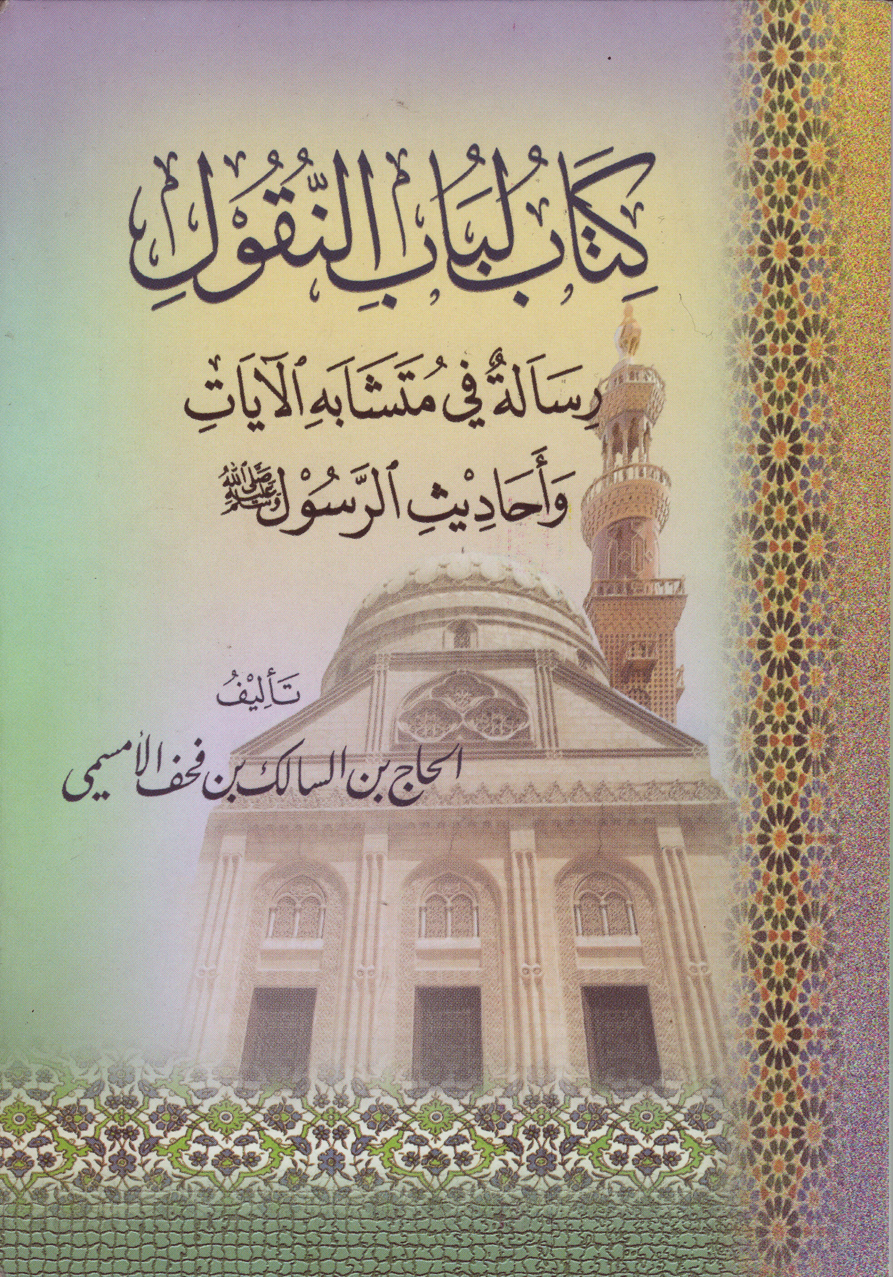


كتاب لباب النقول

رسالة في متشابه الآيات وأحاديث الرسول ﷺ

تأليف

الحاج بن السالك بن فحف الأمسيمي

كتاب لباب النقول

رسالة في متشابه الآيات
وأحاديث الرسول ﷺ

كتاب لباب النقول

رسالة في متشابه الآيات وأحاديث الرسول ﷺ

تأليف

الحاج بن السالك بن فحف الأسيمي

مكتبة الصفاء
أبوظبي
الإمارات العربية المتحدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ، وأمر فيه
ـ عتبار أولي الألباب ، وأنزل منه آيات محكمات وأنزل
منه أخر متشابهات ، والصلاة والسلام على من أيده
ـ لمعجزات ، وعلى آله وصحبه وأزواجه الطاهرات ؛
ما سطعت أنوار السنة فوق البدعة ذات الظلمات .

وبعد : فإنك سألت عن جماعة يخوضون في متشابه
لكتاب والسنة ، وينكرون الإجماع على صرف ما أوهم
لتشبيه من الآيات والأحاديث عن الظاهر ، وأن أكتب لك
حقيقة الأمر في ذلك ، فأجبتك بعد الاستخارة بادئاً بتبيين
ما ورد من الذم في الخوض في المتشابه ، فمن ذلك قوله
تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ
ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ قال المفسرون

هنا عند قوله تعالى: ﴿زَيۡغٞ﴾ أي: ميل عن الحق، وقالوا عند قوله تعالى: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: لجهالهم بوقوعهم في الشبهات واللبس.

ومما ورد في ذم من ذكر حديث الشيخين عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ إلى آخرها.

والمراد به ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ وقال: «إذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم».

وأخرج الطبراني عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «لا أخاف على أمتي إلا ثلاث خلال: أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ وأن يزداد علمهم فيضيعوه ولا يسألوه عنه».

وأخرج الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار أن

رجلاً يقال له صبيغ ، قدم المدينة ، فجعل يسأل عن متشابه القرآن ، فأرسل إليه عمر رضي الله تعالى عنه ، وقد أعدَّ له عراجين النخل ، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ ، فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه ، وفي رواية: فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبرة ، ثم تركه حتى برئ ، ثم عاد ، ثم تركه حتى برئ ، ثم عاد فدعا به ليعود قال: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري: لا يجالسه أحد من المسلمين.

وقال في الإتقان: قال ابن الحصار: قسم الله تعالى آيات القرآن إلى محكم ومتشابه ، وأخبر عن المحكمات أنها أم الكتاب؛ لأن إليها ترد المتشابهات ، وهي المعتمد في فهم مراد الله تعالى من خلقه في كل ما تعبدهم به من معرفته ، وتصديق رسله ، وامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، وبهذا الاعتبار كانت أمهات.

ثم أخبر عن الذين في قلوبهم زيغ أنهم هم الذين يتبعون ما تشابه منه ، ومعنى ذلك: أن من لم يكن على يقين من المحكمات ، وفي قلبه شك واسترابة ، كانت

راحته في تتبع المشكلات المتشابهات ، ومراد الشارع منا التقدم إلى فهم المحكمات وتقديم الأمهات؛ حتى إذا حصل اليقين ، ورسخ العلم لم تبالِ بما أشكل عليك ، ومراد هذا الذي في قلبه زيغ التقدم إلى المشكلات ، وفهم المتشابه قبل فهم الأمهات ، وهو عكس المعقول والمعتاد والمشروع ، ومثل هؤلاء مثل المشركين الذين يقترحون على رسلهم آيات غير الآيات التي جاؤوا بها ، ويظنون أنهم لو جاءتهم آيات أخر لآمنوا عندها جهلاً منهم.

وكفى بهذا زاجراً للعاقل عن الخوض في المتشابه ، فإذا تمهد هذا فأذكر لك أيضاً حكم مخالفة الإجماع ، وما فيه من الوعيد ، أما مخالفته فحكمها التحريم ، قال: في «مراقي السعود»:

وخرقه فامنع لقول زائدي
إذ لم يكن ذاك سوى معاندي

وقال هنا في شرحه «نشر البنود» أي: امنع خرق الإجماع بالمخالفة له حرم بالتوعد عليه ، حيث توعد على اتباع غير سبيل المؤمنين في الآية السابقة ، ويعني بالآية السابقة ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ

غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

وقال في «نشر البنود»: أما كون خرق الإجماع حراماً فأمر متفق عليه فيما علمت.

قال المختار بن بون رحمه الله تعالى في «وسيلة السعادة»:

وكل ما أجمع أهل السنة
على خلافه فكالأسنة
يهلك إما يعسل الإنسان
فيه وإن زينه الشيطان

قال في «المباحث» في شرح البيتين: يعني أن كل رأي أجمع أهل السنة رضي الله تعالى عنهم على خلافه فإنه كالأسنة، جمع سِنان بالكسر، وهي حديدة الرمح، بل هو أبلغ في الإهلاك؛ لأن إهلاكه في الآخرة وإهلاك الرماح في الدنيا، وقوله يعسل كيضرب، أي: يجري، وقوله: فيه، أي: ذلك الرأي، أي: وكل رأي أجمع أهل السنة على خلافه يهلك الإنسان إن جرى فيه، أي: اعتقده، وتمذهب به، وإن حسَّنه الشيطان.

وأما كون الإجماع منعقداً على صرف ما أهم تشبيه الخالق بالمخلوق من القرآن والحديث عن ظاهره؛ فمن الأمور الضرورية عند أهل السنة ، ولولا أن الجهل عم ، وارتفع العلم؛ ما كتبت في ذلك شيئاً ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ . ﴿لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾ .

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ . ﴿۞وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَهُوَ يُطۡعِمُ وَلَا يُطۡعَمُۗ﴾ .

وإذا أبى المنكر للإجماع المذكور إلا سوق النصوص المصرحة بالإجماع على صرف ما أوهم التشبيه عن ظاهره ، فلا قدرة لي على حصرها ، لكن نسوق ما تيسر من ذلك ، فمنه قوله تعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ ، وقوله تعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ .

ومن ذلك الإجماع على أنه تعالى مخالف لخلقه ، وكفى بما ذكر دليلاً للعاقل .

ومن ذلك ما قاله ابن المعلم في كتاب «نجم المهتدي» كما نقله عنه الكوثري ، ونص كلامه في معنى الاستواء في الآية الكريمة: وتلك المعاني نحو: الملك ، واستيثار الملك ، والاستيلاء المجرد عن معنى المغالبة ، إلى أن قال: فقد ظهر لكم ـ أيدكم الله تعالى ـ هذه التأويلات ، فأيها ترجح عندكم فاحملوا اللفظ عليه ، فإن الظاهر منفي بإجماع أهل السنة ، فلله الحمد على اتباعهم.

وقال إمامُ الحرمين في «النظامية» كما نقله عنه الكوثري: اختلف مسالك العلماء في هذه الظواهر ، فرأى بعضهم تأويلها ، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل ، وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الله تعالى ، وليس في هذا ما يفرح به المشبهة؛ لأنه ينص على التفويض ، وهو مذهب السلف ، وأما المشبهة؛ فلا يقولون بالتفويض ، والخلف يخرجونها على معان لا تنافي التنزيه على طبق استعمالات العرب من غير تحكم على مراد الله تعالى ، فالسلف والخلف متفقون على التنزيه ، والبعد عن التشبيه.

وقال القضاعي في رسالته: فإن الصرف عن الظاهر

متفق عليه، سمي تأويلاً أم لا، فتفطن لهذه الفائدة؛ فإن مما يموه به المبتدعة لا سيما ابن تيمية نقل نفي التأويل عن السلف؛ يلبس بهذا النقل على القاصرين عن معرفة هذه المسألة، ويوهمهم أن السلف يحملون هذه الألفاظ على ظاهرها، وحاشاهم من ذلك، وإنما ما معنى ما نقل عنهم أنهم لا يعينون المعنى المراد مع الصرف عن الظاهر.

وقال القضاعي أيضاً: وهكذا اتفق سلفُ هذه الأمة الصالح وخلفها الموفَّق على صرف هذه المتشابهات عن هذه الظواهر، لا خلاف في ذلك بين أوائلهم وأواخرهم، رضي الله تعالى عنهم، وسمّوا من فسرها بتلك الظواهر بالمجسمة والحشوية؛ إيماء منهم - رضي الله تعالى عنهم - إلى أن ما أتى به هؤلاء من التفسير من اللغو الذي لا يلتفت إليه، والحشو الذي لا يعلو عليه أهل العلم بالكتاب والسنة.

وفي رسالة القضاعي أيضاً سؤال وجواب دامغ لشبهة هؤلاء المسؤول عنهم أيضاً، ونص السؤال: ما قولكم - دام فضلكم - في رجل من أهل العلم هنا يوصفون بالتفقه في الدين، تظاهر باعتقاد ثبوت الجهة الفوقية لله سبحانه

وتعالى ، ويدعي أن ذلك مذهب السلف ، وتبعه على ذلك البعض القليل من الناس ، وجمهور أهل العلم ينكرون عليه ، والسبب في تظاهره بهذا المعتقد ـ كما عرض هو على ذلك بنفسه ـ عثوره على كتاب لبعض علماء الهند نقل فيه صاحبه كثيراً عن ابن تيمية في إثبات الجهة للباري سبحانه وتعالى ، وليكن معلوماً أنه يعتقد الفوقية الذاتية له ـ جل ذكره ـ يعني : أن ذاته سبحانه فوق العرش ، بمعنى ما قابل التحت مع التنزيه ، ويخطئ أبا البركات الدرديري ـ رضي الله تعالى عنه ـ في قوله في «خريدته» :

منـــزه عـــن الحلـــول والجهـــه
والاتصـــال الانفصـــال والسمـــه

يخطئه في موضعين من البيت ، قوله : والجهة ، وقوله : الانفصال ، والشيخ اللقاني في قوله :

ويستحيـــل ضـــد ذي الصفـــات
في حقه كالكون في الجهات

وبالجملة فهو مخطىء لكل من يقول بنفي الجهة مهما كان قدره ، ويستدل أيضاً بنص كتاب آخر غير الكتاب

المتقدم ذكره، وهو تفسير الشيخ الآلوسي المسمى «روح المعاني» عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ مع أن المطلع على عبارة الآلوسي يجده في آخر عبارته ذكر ما يؤخذ منه أنه غير جازم بذلك، ويستدل على ذلك بمثل قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وبقوله ﷺ للجارية التي أراد سيدها عتقها: «أين الله؟» فقالت: في السماء مع ما هو معلوم لفضيلتكم من أنها كانت خرساء، وأشارت إلى السماء، كما هو منصوص في بعض مؤلفات حجة الإسلام الغزالي رضي الله تعالى عنه. وقد تعرض لذلك السيد محمد مرتضى الزبيدي في شرحه للإحياء.

ويستدل أيضاً بقوله ﷺ في حجة الوداع: «اللهم اشهد» وأشار بأصبعه إلى السماء.

ويورد على من ينازعه في ذلك سؤال الكرامية المشهور، وهو قولهم أن نفيه عن الجهات الست إخبار عن عدمه.

ولا يخفى على فضيلتكم أن الكلام في مسألة الجهة شهير، إلا أنه من المعلوم أن قول فضيلتكم ـ سيما في هذا الأمر ـ هو الفصل قوله: الكرامية، نسبة إلى محمد بن

خَزَام كشدَّاد ، كما في القاموس ، انتهى السؤال .

وصاحبه الشيخ سليم الأزهري المالكي ، ونص جوابه : قد أرسلتم بتاريخ ٢٢/ محرم ، ص ١٣٢ مكتوباً مصحوباً بسؤال عن حكم من يعتقد ثبوت الجهة له تعالى ، فحررنا لكم الجواب :

اعلم ـ أيدك الله بتوفيقه ، وسلك بنا وبك سواء طريقه ـ : أن مذهب الفرقة الناجية ، وما عليه أجمع السنيون ؛ أن لله تعالى منزه عن مشابهات الحوادث ، مخالف لها في جميع سمات الحدوث ، ومن ذلك تنزيهه عن الجهة والمكان ، كما دلت على ذلك البراهين القطعية ، فإن كونه في جهة يستلزم قدم الجهة والمكان ، وهما من العالم ، وهو ما سوى الله تعالى ، وقد قام البرهان القاطع على حدوث كل ما سوى الله تعالى بإجماع من أثبت الجهة ومن نفاها ، ولأن الممكن يستحيل وجود ذاته بدون المكان ، مع أن المكان يمكن وجوده بدون الممكن ؛ لجواز الخلاء ، فيلزم إمكان الواجب ، ووجوب الممكن ، وكلاهما باطل ، ولأنه لو تحيز لكان جوهراً لاستحالة كونه عرضاً ، ولو كان جوهراً فإما أن ينقسم وإما

أن لا ينقسم ، وكلاهما باطل ، فإن غير المنقسم هو الجزء الذي لا يتجزأ، وهو أحقر الأشياء تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، والمنقسم جزء ، وهو مركب ، والتركيب ينافي الوجوب الذاتي ، فيكون المركب ممكناً محتاجاً إلى علة مؤثرة .

وقد ثبت بالبرهان القاطع أنه تعالى واجب الوجود لذاته ، غني عن كل ما سواه ، مفتقر إليه كل ما عداه سبحانه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ .

هذا ، وقد خذل الله تعالى أقواماً أغواهم الشيطان ، وأزلهم ، اتبعوا أهواءهم ، وتمسكوا بما لا يجدي ، واعتقدوا ثبوت الجهة لله تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، واتفقوا على أنها جهة فوق ، إلا أنهم افترقوا فمنهم من اعتقد أنه جسم مماس للسطح الأعلى من العرش ، وبه قال الكرامية واليهود ، وهؤلاء لا نزاع في كفرهم .

ومنهم من أثبت الجهة مع التنزيه ، وأن كونه فيها ليس ككون الأجسام ، وهؤلاء ضلال فسَّاق في عقيدتهم ، وإطلاقهم على الله ما لم يأذن به الشرع ، ولا مرية في أن

فاسق العقيدة أقبح وأشنع من فاسق الجارحة بكثير ، سيما من كان داعية أو مقتدى به .

فممن نسب إليه القول بالجهة من المتأخرين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي من علماء القرن الثامن في ضمن أمور نسبت إليه ، خالف الإجماع فيها عملاً برأيه ، وشنع عليه معاصروه ، بل البعض منهم كفره ، ولقي من الذل والهوان ما لقي ، إلى أن قال: وما تمسك به المخالفون القائلون بالجهة أمور واهية وهمية ، لا تصح أدلة عقلية ولا نقلية ، وقد أبطلها العلماء بما لا مزيد عليه ، وما تمسكوا به ظواهر آيات وأحاديث موهمة؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أو قوله ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ . . .﴾ ، وقوله تعالى ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ . . .﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ .

وكحديث: «أنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة» وكقوله ﷺ للجارية الخرساء: «أين الله؟» فأشارت إلى السماء ، حيث سأل بأين التي للمكان ، ولم ينكر عليها

الإشارة إلى السماء ، بل قال : «إنها مؤمنة» .

ومثل هذه يجاب عنها بأنها ظواهر لا تعارض الأدلة القطعية اليقينية الدالة على انتفاء المكان والجهة ، فيجب تأويلها ، وحَمْلها على محامل صحيحة لا تأباها الدلائل من النصوص الشرعية ، إما تأويلاً إجمالياً إلى تعيين المراد منها ، كما هو مذهب السلف ، وإما تأويلاً تفصيلياً يعين محاملها وما يراد منها ، كما هو رأي الخلف ، كقولهم: إن الاستواء بمعنى الاستيلاء ، كما في قول القائل:

قد استوى بشرٌ على العراقِ
من غير سيفٍ ودم مهراقِ

وصعود الكلم الطيب إليه: قبوله إياه ، ورضاه به؛ لأن الكلم عرض يستحيل صعوده ، وقوله: من في السماء ، أي: أمره وسلطانه ، أو ملك من ملائكته موكل بالعذاب ، وعروج الملائكة والروح إليه: صعودهم إلى مكان يتقربون إليه فيه ، وقوله: فوق عباده ، أي: بالقدرة والغلبة ، فإذا كان يقهر غيره ويغلبه فهو فوقه ، أي: عال عليه بالقهر والغلبة ، كما يقال: أمر فلان فوق أمر فلان ،

أي: أنه أقدر منه وأغلب، ونزوله إلى السماء: محمول على لطفه، ورحمته، وعدم المعاملة بما يستدعيه علو رتبته، وعظم شأنه على سبيل التمثيل، وخص الليل لأنه مظنة الخلوة والخضوع، وحضور القلب.

وسؤال الجارية بأين: استكشاف لما يظن بها اعتقاده من أينية المعبود لما يعتقده الوثنيون، فلما أشارت إلى السماء فهم أنها أرادت خالق السماء، فاستبان أنها ليست وثنية، وحكم بإيمانها.

وقد بسط العلماء في مطولاتهم تأويل كل ما ورد من أمثال ذلك عملاً بالقطعي وحملاً للظني عليه، فجزاهم الله تعالى عن الدين وأهله خير الجزاء.

ومن العجيب أن يدع مسلم قول جماعة المسلمين وأئمتهم، ويتمشدق بترهات المبتدعة وضلالاتهم، أما سمع قول الله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ فليتبْ إلى الله تعالى من التلطخ بشيء من هذه القاذورات، ولا يتبع خطوات الشيطان، فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر، ولا يحملنه العناد

على التمادي والإصرار عليه ، فإن الرجوع إلى الصواب عين الصواب ، والتمادي على الباطل يفضي إلى أشد العذاب ، انتهى جواب سليم المالكي الأزهري .

وقال النووي في «شرح مسلم» عند حديث جارية معاوية بن الحكم؛ التي أتى بها رسول الله ﷺ فقال لها ﷺ : «أين الله؟» قالت : في السماء . . . إلخ ، ما لفظه : قال القاضي عياض : لا خلافَ بين المسلمين قاطبة فقيههم ومحدثهم ومتكلمهم؛ أن الظواهر الواردة بذكر الله في السماء كقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ . . . ﴾ ونحوه ، ليست على ظاهرها بَلْ متأولة عند جميعهم ، انتهى .

وقال بناني عند قول خليل في الظهار : وهي إعتاق رقبة في الكلام على حديث الجارية التي سألها رسول الله ﷺ : «أين الله؟» فقالت : في السماء . . . إلخ معناه : العلو وارتفاع ، وأنه تعالى منزه عن صفات الحوادث ، إلى أن قال عازياً للسهيلي : السؤال بأين ينقسم إلى ثلاثة أقسام ، اثنان جائزان وواحد لا يجوز .

فالأول : السؤال على جهة الاختبار للمسؤول ليعرف

مكانه من العلم والإيمان ، كسؤاله عليه الصلاة والسلام لأمة .

والثاني: السؤال عن مستقر ملكوت الله تعالى ، وموضع سلطانه كعرشه وكرسيه وملائكته؛ مثل سؤال السائل لرسول الله ﷺ: أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان في عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء» ، فهذا سؤال فيه حذف كما ترى ، وإنما سأل عن مستقر الملائكة والعرش ، وغير ذلك من خلقه ، والعماء هو السحاب ، وإذا جاز أن يعبر عن إذاية أوليائه بقوله: ﴿يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ﴾ و﴿يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ جاز أن يعبر أيضاً باسمه عن ملائكته وعرشه وسلطانه وملكه ، إلى أن قال:

الثالث: السؤال بأين عن ذات الرب سبحانه وتعالى ، فهذا سؤال لا يجوز ، وهو سؤال فاسد لا يُجاب عنه سائله ، وإنما سبيل المسؤول أن يبين له فساد السؤال كما قال علي كرم الله وجهه ورضي عنه؛ حين سئل: أين الله تعالى؟ فقال: الذي أَيَّن الأين لا يقال فيه أين ، فبين للسائل فساد سؤاله ، فإن الأينية مخلوقة ، والذي خلقها لا محالة قد كان قبل أن يخلقها ، ولا أينية ولا صفات

نفسه لا تتغير ، فهو بعد أن خلق الأينية على ما كان قبل أن يخلقها ، وإنما مثل هذا السائل كمن سأل عن لون العلم ، أو عن طعم الظن أو الشك ، ويقال له : من عرف حقيقة العلم والظن ، ثم سأل هذا السؤال فهو متناقض؛ لأن اللون والطعم من صفات الأجسام ، وقد سألت عن غير جسم فسؤالك محال ، انتهى .

وقال اللقاني في الجوهرة :

وكـــل نـــصٍّ أوهـــمَ التشبيهـــا

أولـــه أو فـــوِّض ورم تنـــزيهـــا

وقال أحمد الصاوي عند قول الجلال السيوطي : استواء يليق به عند قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ : هذه طريقة السلف؛ الذين يفوضون علم المتشابه إلى الله تعالى ، وهذا نظير ما وقع لمالك بن أنس أنه سأله رجل عن قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ فقال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، أخرجوا عني هذا المبتدع .

وأما طريقة الخلف فيؤولون الاستواء بالاستيلاء في معنى الملك ، والتصرف ، وقول مالك : الاستواء معلوم

فسروه بأن معناه أنه معلوم الورود في الكتاب ، وقوله: والكيف مجهول فسروه بأن معناه أنه لا تعلم له ماهية بالمعنى المتعارف ، ولا يعقل له وجود فيما يتعلق بجانب الحق جل وعلا ، انتهى.

وقال القضاعي في رسالته في الرد على هذه الطائفة الخارقة للإجماع؛ بدعواها إبقاء المتشابه على ظاهره ما لفظه: وهذا هو السر الذي جعلهم -رضي الله تعالى عنهم- في اتفاق على أن كلما دل من الكتاب والسنة بظاهره على ما هو من صفات الجسم وسمات الحدوث فهو مصروف عن هذا الظاهر قطعاً لا خلاف في ذلك بين علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل الفقه في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، سلفاً وخلفاً ، وحجتهم في ذلك في كتاب الله تعالى واضحة ، وأدلتهم عليه في آيات القرآن لائحة ظاهرة ، والبراهين العقلية الصريحة ناطقة مفصحة ، فكان ذلك قرائن صارفة لهذه النصوص عن هذه الظواهر ، انتهى.

وقال أيضاً: وأرجو بعد هذا البيان أن تكون قد انكشفت لك تلك المغالطة؛ التي كثيراً ما توجد في كتب

الحشوية ، ويفوه بها بعضهم الآن في مناظرة أهل السنة ، وأن يكون قد افتضح لك أمرها ، وبطلان دعواها ، وهي قولهم أن الوجه والعينين واليدين والقدم والساق صفات ، كما أن الحياة والعلم والإرادة والقدرة صفات ، وقد قلتم بها في ذات الله تعالى ، فلماذا لا تقولون بتلك الصفات الوجه ، وما ذكر معه ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ فكما قلتم له علم لا كالعلوم ، وقدرة لا كالقدرة ، فقولوا له وجه لا كالوجوه ، ويد لا كالأيدي ، ورجل لا كالأرجل ، وساق لا كالسوق ، ويتوسعون في ترويج هذا الكلام بما شاء لهم الهوى ، وأشربوا في قلوبهم التجسيم والتشبيه؛ حتى انخدع بهذا الكلام من أهل الفضل من تروج عليه الحيل ، ويغرُّه الزخرف من القول ، ويزيد في رواج هذا الزخرف أن هذه العبارة له وجه لا كالوجوه توجد من بعض الأكابر المنزهين للحق عن الأجزاء والجسمية كما هو الحق ، وهي من الحشوية مغالطة مفضوحة ، وباطل مكشوف للناقد البصير؛ فإن الوجه والعين واليد والرجل والساق أجزاء وأبعاض وأعضاء لما هي فيه من الذوات لا معان

وأوصاف تقوم بموصوفاتها ، فأين هي مما ألحقوها به من العلم والإرادة والقدرة ، وهل هذا إلا كتشبيه العالم بالعلم والأبيض بالبياض ، وهل تسميتهم لها بالصفات إلا ستر لموقفهم من التشبيه بما لا يسترهم عن ذوي الأنظار النافذة ، ولا يحجب عن سهام النقدة من أهل السنة الراسخين في علم الكتاب العزيز بنسج العنكبوت ، وهو كما علمت لا ينفعهم ، ولا يدفع عنهم منها شيئاً ، فإن تهرب منهم متهرب ، وكثيراً ما يفعلون ، يقولون: إنا لا نريد بالوجه وأخواته ما هو أجزاء وأبعاض ، بل نريد ما هو صفات حقيقة كالعظمة والملك ، والبصر ، والقدرة ، ونحوها ، لكنا لا نعين المراد ، قلنا: مرحباً بالراجعين إلى الحق ، وبشرى بالرجوع إلى صميم الإسلام ، ولب العلم والسلفية الحقيقية ، ولا نزاع بيننا وبينكم ، فقد انصرفتم عن الحشوية ، ولكنهم ـ والأسف ملء فؤادنا عليهم ـ لا يثبتون ، فنعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

ثم قال: **تنبيه مهم**: إذا سمعت في بعض عبارات السلف إنما نؤمن بأن له وجهاً لا كالوجوه ، ويداً

لا كالأيدي ، فلا تظن أرادوا أن ذاته العلية منقسمة إلى أجزاء وأبغاض ، فجزء منها يد ، وجزء منها وجه ، غير أنه لا يشابه الأيدي والوجوه التي للخلق ، حاشاهم من ذلك ، وما هذا إلا التشبيه بعينه ، وإنما أرادوا بذلك أن لفظ الوجه واليد قد استعمل في معنى من المعاني ، وصفة من الصفات التي تليق بالذات العلية كالعظمة والقدرة ، غير أنهم يتورعون عن تعيين تلك الصفة تهيباً من التهجم على ذلك المقام الأقدس ، وانتهز المجسمة والمشبهة مثل هذه العبارة فغروا بها العوام ، وخدعوا بهاالأغمار من الناس.

وقال أيضاً ـ أعني القضاعي ـ في رسالته : قال الإمام الأجل أبو عبد الله الشافعي رضي الله تعالى عنه آمنت بما جاء عن الله تعالى على مراد الله تعالى ، وبما جاء عن رسول الله ﷺ على مراد رسول الله ﷺ يعين ـ رضي الله تعالى عنه ـ لا على ما تفهمه العامة من المعاني الحسية.

ونقل ابن الجوزي في كتابه «دفع شبه التشبيه» عن الإمام أحمد ـ رضي الله تعالى عنه ـ نحواً من هذا فرد أبلغ الرد على المنتسبين إليه الناسبين له ما هو براء منه ، ولهذه

الفئة ولع شديد بافتراء الأباطيل ، ونسبتها إلى أكابر أئمة هذه الأمة .

ولو استقريت القرون منذ نجمت هذه البدعة؛ لرأيت في كل قرن إلى زمانك هذا من هذه الطائفة ، فلولا تشاغب وتموه وبإزائهم جيوشاً من أهل السنة ، بين مناظر يجادل عن الحق في المجالس الخاصة والعامة ، ومؤلف يزيل ظلمات شبههم بنور الحجج المعقولة المنقولة ، حتى تركوا من هذه المؤلفات القيمة لطالب الهدى ثروة لا تنفذ ، وكنوزاً لا تبيد على الأبد ، انتهى .

وقال أيضاً: وصارت العلوم الاعتقادية والخلقية والعلمية لباً بلا قشر ، وزبداً لا يحتاج إلى مخض ، ورجعت سهام مكائد أعداء الإسلام في نحورهم ، وصار من أجلى الجليات أن حامل لواء السنة في العقائد الإسلامية أبو منصور الماتريدي المتوفى سنة نيف وثلاثين وثلاثمئة ، وأبو الحسن الأشعري المتوفى سنة بضع وعشرين وثلاثمئة وشيعتهما ، انتهى .

ولنرجع إلى نقل بعض كلام أهل السنة المجمعين على

صرف ما أوهم التشبيه من الكتاب والسنة عن ظاهره ، فمن ذلك قول المقري في إضاءة الدجنة .

والنص إن أوهم غير اللائق
بالله كالتشبيه في الخلائق

فاصرفه عن ظاهره إجماعا
واقطع عن الممتنع الأطماعا

وما له من ذاك تأويل فقط
تعين الحمل عليه وانضبط

كمثل وهو معكم فأول
بالعلم والرعي ولا تطول

إذ لا تصح هاهنا المصاحبه
للذات قطعاً فاعرف المناسبه

وما له محامل الرأي اختلف
فيه وبالتفويض قد قال السلف

من بعد تنزيه وهذا أسلم
والله بالمراد منها أعلم

من ذاك قال مالك إذ سئلا
في الاستواء الكيف منه جهلا

وصــار للتــأويــل قــوم عينــوا
بمـــا يليـــق راجحـــاً وبينـــوا
إذ فسـروا الـوجـه بـذات واليـدا
بقـــدرة وذا الإمـــام أيـــدا
وقـولـه سبحـانـه مـن فـي السمـا
معنـاه بـالأمـر وسلطـان سمـا
وقس على هذا جميع ما اشتبه
في الذكر والحديث فادر المرتبه

وقـال السيـوطـي فـي «الإتقـان»: وأمـا نحـو ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ﴾ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ فالمراد به بالعلم والحفظ والمعونة مجازاً، فإنه يستحيل حمل المعية على القرب بالذات، فتعين صرفه عن ذلك، وحمله على القدرة، والعلم، والحفظ، والرعاية، انتهى.

فقال المختار ابن بون في «وسيلة السعادة»:
والخلف في الرحمة والرأفة أو
رضـاه والغضـب والحـب حكـوا

هـــل هـــي للفعـــل أو الإراده

راجعـــة عنـــد ذوي الإفـــاده

عـن انقبـاض النفـس وانبسـاطهـا

وفيضهـــا ونحـــوهـــا فـــإنَّهـــا

تصـــرفُ الإجمـــاع إذ أحيـــلا

أن تعـــرض المهيمـــن الجليـــلا

قال في «المباحث» في شرح الأبيات: يعني أن هذه الأمور لا خلاف في أنها يجب صرفها عن ظاهرها المحال في حقه تعالى، فيصرف الغضب والسخط ونحوهما عن انقباض النفس وفيضها، ويصرف الرضا عن انبساطها، والمحبة عن الميل، والرحمة عن رقة القلب، وقس على هذا.

وقوله تَعْرِض ـبفتح التاء وكسر الراءـ هذه الأمور المهيمن تعالى، أي: يستحيل أن تطرا عليه.

وقال في «الوسيلة» أيضاً:

فـــأبطلـــت مـــذاهـــب المعطليـــن

ذاتيـــة الإلـــه والمجسميـــن

قال في «المباحث» : ومعنى كلامه أن مذهب المعطلين، أي : النافين كونه تعالى ذاتاً ، ومذهب المجسمين ، أي : القائلين بأنه تعالى جسم ، تقدم قريباً إبطالها .

وقال في «الوسيلة» :

ليس كمثله تعالى شي
والفكر في كنه الإله غي

قال في «المباحث»: فهو أي الفكر في ذاته تعالى حرام؛ لأن التفكر في ما ذكر إما أن يؤدي إلى التشبيه أو التعطيل ، وكلاهما كفر :

وإنما الفكر الذي يليق
أن يلتهي بصنعه المخلوق

قال في «المباحث»: والأصل في ما ذكر الناظم -رحمه الله تعالى- قوله ﷺ: «تفكروا في كل شيء ولا تتفكروا في ذات الله تعالى» .

وقال في «الوسيلة» :

سبحان من إدراكه في عدم
إدراكه منفرداً بالعظم

قال في «المباحث»: أصل الإدراك: وصول النفس إلى شيء بتمامه، وذلك أن إدراكه تعالى محال، والعجز عن إدراكه واجب، فمن أحاط علماً بما يجب له تعالى، وما يستحيل، وما يجوز، ثم علم أن الكنه محجوب عن العقول، وأنها عاجزة عن التوصل إليه، فهو العارف بالله تعالى، الواصل إلى تمام معرفته، بخلاف من يتوهم أنه أدركه، فيتصوره جرماً على العرش، أو بعيداً منه مثلاً، فهو من الظانين أنهم من أهل المعرفة، وهم في أودية الضلال.

وأصل هذه العبارة المروية عن سيدنا وخليفتنا أبي بكر ـ رضي الله تعالى عنه ـ وهي العجز عن إدراكه إدراك.

وقال السنوسي: من اطمأن إلى موجود انتهى إليه فكره، فهو مشبه، ومن سكن إلى النفي المحض فهو معطل، ومن قطع بموجود، واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد، الحمد الله الذي لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

وقال ابن عرفة:

ألا إن إدراك الحقيقــــة معجـــز
وإدراك نفس العجز عين الحقيقة

كمـا قــالـه الصـديـق أول قــائـل
بفكـر سـديـد أو بحسـن بـديهـة

إذا ثبـت التكليـف فـي متكـرر
بـــالله أكبـر فـــانتبـه لمقـــالتـــي

وقال في «الوسيلة»:

وواجــب إيمـــاننـــا أن استـــوى
جل على العرش على الملك احتوى

قال في «المباحث»: والمتشابه من هذا استواؤه إلى العرش وفوقيته، فإنه بحسب ظاهره يوجب الجهة والمكانية، وظاهره غير مراد إجماعاً:

وفـــي السمـــاء وكـــذا يــداه
مبســـوطتـــان وبنـــا سمـــاه

جــل بــأييـد أيـن مــا تــولــوا
فثـــم وجهـــه فـــلا تضلـــوا

وأنــه يجــيء والملــك صـف
صفا وما من نحو ذا به اتصف

قال في «المباحث»: والمتشابه الذي تقدم ظاهره تشعر بأمور مستحيلة كالجسمية، والجهة، وغير ذلك، والقواطع العقلية دلت على امتناع ذلك، والجمع بين تصديقهما محال لاجتماع النقيضين، والجمع بين تكذيبهما محال لارتفاعهما، وتقديم الظواهر النقلية على القواطع العقلية محال؛ لأن العقل شاهد النقل إذ لم يثبت النقل إلا به، فإذا كذبه لم يثبت شرع ولا عقل فلم يبق إلا الإقرار بمقتضى الدلائل العقلية من التنزيه عن سمات الحدوث؛ باعتقاد أن المراد بها غير ظاهرها، انتهى.

وقال في «الوسيلة» أيضاً:

وواجب تنزيهه عن استوى
يوجب أن له بخلقه استوى

قال في «المباحث» في شرح البيت: أخبر أنه تعالى يجب إجماعاً تنزيهه عن ذلك الذي يفهم من الاستواء، فظاهره غير مراد إجماعاً.

وقال في «الوسيلة» أيضاً بعد ما تقدم:

وعن تقيد بظرف فاعلم
وعن تحرك وعن تجسم

بل صرفه لما على الكمال
قد دل واجب بلا إشكال
سبحانه جل جلاله وعلا
ليس له من شبه قطعاً ولا
فالسلف الصالح معنى ما مضى
لعالم الغيب الخبير فوضا

قال في «المباحث»: هنا يعني أن السلف الصالح من هذه الأمة، ومنه إمامنا مالك ـ رضي الله عنه ـ وَكّل عِلْمَ معنى المتشابه إلى الله تعالى، العالم بجميع المغيبات، وقوله الخبير، أي: العالم بخفيات الأمور، فقالوا: نؤمن بذلك الكلام على وفق مراده، ونعترف بصحة، معناه: المراد مع العجز عن الاطلاع عليه، وتنزيهه تعالى عن الظاهر المستحيل.

وقد سئل إمامنا مالك عن الاستواء، فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، وأظنه رجل سوء.

قال الفهري: ذهب السلف إلى تفويض علمه، أي: المتشابه إلى الله تعالى، واعتقاد أن له معنى صحيحاً تصح

إضافته إلى الله تعالى ، يعلمه الله تعالى ، ويجب الإيمان به ، ولا نعينه خشية الإلحاد في الأسماء والصفات ، كما نقل عن بعض السلف .

ويعزى لمالك أنه سُئل عن الاستواء فقال: الاستواء معلوم ، أي حَامِلُه لغة معلومة، والكيف مجهول، أي: تعيين وجه منها مجهول لنا، والإيمان به واجب ، أي: الإيمان أن الله تبارك وتعالى ، أراد به معنى يصح وصفه به واجب ، والسؤال عنه ، أي: عن تعيينه بطريق من طرق الظن بدعة ، أي: لم يعهد به السلف الصالح ـ رضي الله تعالى عنهم ـ في المعتقدات ، وإنما تصرفوا بالاجتهاد في تفاصيل الأحكام الشرعية ، فتعيينه بالظن أمر لم ينقل عن الصحابة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ فكان بدعة ، انتهى .

قال في «الوسيلة» بعدما تقدم:

وبعضهم مال إلى تأويل
مشتبه الحديث والتنزيل

قال في «المباحث»: قال السنوسي: ثم إن كان له تأويلٌ واحد؛ تعين إجماعاً كقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

كُنتُمۡ﴾ إذ الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعاً ، ثم ليس له بعد هذا إلا تأويل واحد وهو الكينونة معهم بالإحاطة علماً ، وقدرة ، وإرادة ، وسمعاً ، وبصراً ، وإن أمكن له أكثر من تأويل واحد ، فهذا محل الخلاف .

ثم قال في «الوسيلة» :

فبالوجود الوجه أو بالذات
أبدى وما لاق من الصفات

قال شارحه عبد القادر : يعني أن من ذهب منهم إلى تأويل المتشابه أبداً الوجه ، أي : أظهره ، وفسره بالوجود أو بالذات ، أو ما لاق ، أي : صلح من الصفات . وأما قوله ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ فمعناه : جهته التي وجهكم إليها أي : قبلته التي رضيها لكم ، فالإضافة للملك .

قال السيوطي : وجه الله تعالى قبلته التي رضيها لكم .

وقال البغوي : قال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل : فثم قبلة الله تعالى ، والوجه ، والوجهة ، والجهة : القبلة .

وقال إمام الحرمين في قوله تعالى : ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ : أي وجوده ، وهو ذاته تعالى .

وقال السنوسي: ومما يدل على أن المراد بالوجه الوجود نعته بأنه ذو الجلال والإكرام والموصوف بذلك هو الله تعالى، وأما قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ فقيل: معناه كل حي ميت إلا الله تعالى سبحانه، وقيل: معناه كل شيء فان إلا الله، فإنه واجب القدم والبقاء.

ثم قال في «الوسيلة»:

واليد بالقدرة أو بنعمته ....

قال في «المباحث»: يعني أن من مال منهم إلى تأويل المتشابه كالإمام وأتباعه أوّل اليد بالقدرة أوبالنعمة، قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ فاليد بمعنى القدرة. ومن كلام العرب: مالي بفلان من يد، أي: قدرة وطاقة. وفي حديث يأجوج ومأجوج: «إن الله تعالى يقول لعيسى إني باعث عباداً لا يدان لأحد بهم».

وقال الشاعر:

وحملت زفرات الضحى فأطقتها
ومالي بزفرات العشي يدان

وأضاف الله تعالى آدم إلى القدرة ، وإن كان سائر أفعاله كذلك بالتشريف ، كما في الحديث : «خلق الله آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده» .

قال السنوسي في «شرح الوسطى» : ووجه هذا التشريف أنه تعالى خلقه بقدرته ، ولم يصرف في خلقته أحداً من الملائكة ، كما فعل في غيره من ذريته ؛ إذ ورد في الحديث : «إن الملك يأخذ النطفة في الرحم فيقول : يا رب ذكر أم أنثى؟ فطيم أم رضيع؟ ما رزقه؟ ما أجله؟» أو أن الله تعالى سخر من شاء من ملائكته في النبات ، وفي غرس الجنة ، ولا فاعل في الحقيقة إلا الله عز وجل ، خص تعالى جنة عدن بأن غرسها بقدرته دون أن يتعبد بغرسها أحد من الملائكة ، وتولى أمر التوراة من غير أن يصرف فيها أحداً من الملائكة ، قال : وحكمة تثنية اليدين تحتمل أنها باعتبار يد القدرة ، ويد النعمة بالهداية ، ومن إطلاق اليد على النعمة قوله :

إن تحملا حاجة لي خف محملها

تستوجبا منة عندي بها ويدا

وقال في «الوسيلة»:

. . . .   والاستوا بالقهر أو غلبت

وبحضور الأمرِ أُوِّلَ الْمَجي   . . . .

قال شارحه عبد القادر: يعني أن البعض الذي مال إلى التأويل؛ أول ما ورد مما يفهم منه التحرك والانتقال، نحو: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ أن معناه: حضر أمره من حشر وثواب وعقاب، وغير ذلك.

. . . .   وقس على هذا مماثلاً يجي

قال في «المباحث»: أي احمل على ما ذكرت لك من أمثلة المتشابه ما لم أذكر لك من مماثل ما ذكرت، فأوله بمعنى: يليق به تعالى، ونزهه عما لا يليق فقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي سلطانه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ أي بالقهر ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أي: بالعلم والإحاطة ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ أول بالحفظ أو بالعلم، وكذلك ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾، وهذه تحتمل أربعة تأويلات، أحدها: ما ذكرنا من العلم، وثانيها: ما ذكرنا من الكلاءة، والتكثير بالجمع

راجع إلى تعظيم العلم أو الكلاءة ، الثالث : أن المراد عين الماء التي انفجرت . الرابع : أن معناه تجري بسادات أهل الأرض ، وأعين الناس خيارهم ، وأول جنب الله تعالى بحقه كقوله :

أما تتقين الله في جنب عاشق
من الوجد كادت نفسه تتقطع

و«تستحي» بمعنى يترك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ كناية عن شدة الأمر كقول طرفة :

يوم تبدي البيض عن سوقها
وتلف الخيل أعراج النعم

وكقول الآخر :

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها
وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

ولا ساق للحرب : وقوله تعالى : ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي : بالقوة . وقوله : ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ ونحو ذلك من ضحك الرب الوارد في الحديث وغضبه كل ذلك يؤول بلازمه ، فمعنى ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ أهانهم ؛

لأن ذلك لازم السخرية، والمراد بالخدع: الأخذ للمخدوع بالشر من حيث لا يشعر، والمراد بالاستهزاء: الإهانة، والمراد بالضحك: إكرام من يضحك له، وبالغضب: عقابه من غضب عليه.

وقوله ﷺ: «حتى يضع الجبار فيها قدمه» أي: جبار يعلم الله تعالى عتوه واستكباره، فإذا ورد النار هو وأتباعه اكتفت به، قاله الفهري: أو المراد بالقدم ما قدمه الله تعالى لها في الأزل من عباده، ومعنى ينزل ربنا، أي: رحمته وعطفه، وحديث: «يمين الله ملأى»: كناية عن سعة العطاء.

وحديث: «إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن»: يصح أن معناه أصابع ملائكته، أو أنه ضرب مثل في أنه سبحانه لا تعب عليه في تصريفها، وأنه في حقه كمن يخفُّ عليه ما يحمله في أصابعه.

وحديث: «أتيته هرولة» قال عياض: معنى الهرولة في حقه: سرعة إجابته، وتقريبه من هدايته، وكذا «تقربت منه باعاً» أي: بهدايتي إياه، وشرحي صدره، وتنبيهه على ما يتقرب به إلي، وقوله تعالى: ﴿ ۞ٱللَّهُ نُورُ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: منورهما، أو هادي أهلهما.

قال مقيد الحروف: فهذه المعاني لا ينكرها إلا من جهل لسان العرب، ومن كان كذلك يخاف عليه الكفر، قال في «وسيلة السعادة»:

فـــرب كفـــر نـــاشـــئ مسبـــب
عن جهل شخص بلسان العرب

وكذلك علم البيان قال صاحب «النقاية»:

وبعـــد فـــالبيـــان نـــور الفكـــر
والجهـل فيـه مـن أصـول الكفـر

وقال أحمد الصاوي عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ ما لفظه: فإن العلماء ذكروا أن من أصول الكفر الأخذ بظواهر الكتاب والسنة، واعلم أن الجماعة التي على السنة في العقائد هي الجماعة الأشعرية والماتريدية، وقد تقدم في ذلك الجواب أن ذلك صار من أوضح الجليات، قال في «الواضح المبين»:

واعلـــم بـــأن الملـــة المـــرضيـــه
هـــي التـــي عليهـــا الأشعـــريـــه

قال في «بغية الراغبين»: ويقال لهم أيضاً الأشاعرة، وهم منسوبون إلى إمام أهل السنة وشيخهم أبي الحسن الأشعري، واسمه علي بن أبي بشر، واسمه إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن أبي موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، صاحب رسول الله ﷺ.

وقال في «الواضح المبين»: عاطفاً على البيت المتقدم:

والماتريدية إذ هي التي
أتى بها أحمد هادي الأمة

قال في «بغية الراغبين»: الماتريدية نسبة إلى قرية، قال في القاموس: ماتُريد بالضم قرية ببخارى، منها أبو منصور، وأبو منصور هذا شيخ الطائفة الماتريدية، وهو حنفي.

قال في «جمع الجوامع»: ونرى أن أبا الحسن الأشعري إمام في السنة، المحلي، أي: الطريقة المعتقدة يقدم على غيره من أئمة السنة كأبي منصور الماتريدي، وبينهما اختلاف في بعض الأصول.

وقال في «الواضح المبين» بعد البيتين المتقدمين:

ومـن يحـد عنهـا يكـن مبتـدعـا
فنعــم مــن كــان لهــا متبعــا

قال في «بغية الراغبين» عند قوله: يحد عنها، أي: عن طريق أهل السنة المتقدمين يكن مبتدعاً، أي: يكن آتياً ببدعة، والبدعة: كل ما خالف أصول الشرع وما عليه أهل السلف الصالح، سواء كانت المخالفة في أصول الدين خلاف المعتزلة وأضرابهم، أو في الفروع كما هو مشاهد.

قال في «بغية الراغبين» عازياً للسنوسي في «شرح قصيدة الجزائري»: لا شك أن كلما قرر المؤلف ـ رضي الله تعالى عنه ـ من أول قصيدته إلى هنا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح قبل ظهور البدع، فكل من رده أو شيئاً منه بأن اعتقد خلافه فهو مبتدع من أهل النار، والعياذ بالله.

قال الآمدي بعد أن ذكر الفرق الضالة: هذه الفرق هي المستوجبة للنار بنصه ﷺ، يعني: في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن بني إسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن أمتي ستفترق على ثلاث وسبعين كلها في النار

إلا واحدة» قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي» أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

والاثنان والسبعون عشرون منهم معتزلة، واثنتان وعشرون شيعة، وعشرون خوارج، وخمسة مرجئة، وثلاثة نجارية، وواحدة جبرية، وواحدة مشبهة، وما سوى ذلك من أرباب البدع راجع إلى بعضها، والناجية هي الثالثة والسبعون، وهي التي على ما كان عليه ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم، وهم أهل السنة.

قال الآمدي: وكل الفرق غيرهم من أهل النار، واختلف هل حكمهم في الدنيا حكم الإسلام مع الفسق أو الكفر، فقيل: فساق، ونقل عن الأشعري وجماعة، وقيل: كفار، ونقل عن القاضي، ومالك، والشافعي.

قال مقيد الحروف ـ عامله الله تعالى بلطفه ـ: كفى شرفاً بالأشاعرة أن معتقدهم هو معتقد أهل السنة؛ ما نقله الحطاب عن السبكي عند قول «المختصر على مذهب الإمام مالك»، وهو قولة السبكي في «مفيد النعم ومبيد النقم»: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة،

يدينون بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ، لا يحيد عنهم إلا رعاع من الحنفية والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال ، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم ، وبرأ الله تعالى المالكية ، فلم يرى مالكي إلا أشعري العقيدة ، انتهى .

اللهم اجعل آخر كلامي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ، واجبلني على سلوك منهاجه ﷺ. اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ووفاة ببلد رسولك ﷺ ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هذه الورقات لخصها الحاج بن السالك وسماها : «لباب النقول في متشابه الآيات وأحاديث الرسول ﷺ» ومن الله تعالى أرجو القبول .

اللهم صلِّ على محمد وأزواجه وذريته؛ كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد وأزواجه وذريته ، كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد .



مكتبة الصفاء
أبوظبي - ص.ب ٥٢٦٦
هاتف: ٦٤٤٥٠٥٣ - فاكس: ٦٤٤٥٦٢٥
الإمارات العربية المتحدة